

الشُّجَاعُ مُوقَى وَالْجَبَانُ مُلْقَى



{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }



إنَّ رواية ما يحدث في ساحات الجهاد من قصص وتفاصيل، وما يجري في طياتها من أحداث وعبر، ليس المراد منها مجرد السرد والخبر، بل هي تذكيرٌ للنفوس وإحياءٌ للقلوب، وهي جديرة بحق أن نقف عليها وندقق عند معانيها وما ترمي إليه من دروس وعظات، وإلا تذهب هدراً على أصحاب العقول السليمة والأفكار القويمة، وقد لفت الله عزَّ وجلَّ في كتابه إلى أهمية القصص والإعطاء بأحوال السابقين فقال: **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** (يوسف: ١١١)، فنسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا من الذين يعتبرون بالحوادث .. فما أكثر العبر وأقل الاعتبار.





الشُّجَاعُ مُوقَى وَالْجَبَانُ مُلَقَى

الحمد لله الذي هدانا لهذا نصراطه، وجعلنا ممن أطاعه من عباده، والصلاة والسلام على من أعز الله الإسلام بجهاده، وسلم تسليماً كثيراً.

قال جل في علاه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** (محمد: ٧)

أما بعد:

تبدأ قصتنا هذه .. في ليلة من ليالي الشتاء القارصة البرودة، حيث كان الإخوة خارجين إلى مهمة جهادية تمت بنجاح ولله الحمد وفي طريق عودتهم تعطلت سيارتهم قرب إحدى القرى، وكان الليل قد أسدل ستاره، لذلك قرروا أن يبيتوا عند أخ آخر من الجماعة لأن بيته في نفس تلك القرية، وبالفعل وصلوا بيت الأخ فرحب بهم أشد ترحيب، ومالبت أن أحضر لهم العشاء، فتعشوا معاً وحمدوا الله.

الآن عدد الإخوة هو ستة إخوة، ومن الأمور المسلم بها ضمن العمل الجهادي، أنه عندما يجتمع مثل هكذا عدد من المجاهدين في مكان واحد لا تربط بعضهم بالآخر أي قرابة أو مصاهرة أو ما شابه، ولا هم أصلاً من أهل هذه القرية، بالتالي فلا يحتاج العدو إلى بذل الجهد ليعلم أن هؤلاء هم مجاهدون في حال لو تمكن منهم لا قدر الله، لذلك فالواجب يُحتم أن يؤمر أحد الإخوة وينقسموا إلى مجموعات ثم يناط لكل واحد منهم واجب في المراقبة والحراسة ليلاً، قال تعالى: **(وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً)** (النساء: ١٠٢)، وهذا الأمر كما ذكرنا هو من لوازم الجهاد، وعملياً فإن الإخوة يستلذون بهذه العبادة، لما فيها من مصابرة وخلوة في الأسفار وقيام ليل، ولو أردنا التكلم عن الحراسة في سبيل الله فقط لاحتاج منا الأمر إلى صفحات عديدة من عظمة ما يكون للحارس في سبيل الله من أجر .. نذكر منها:

• أن الم رابط في سبيل الله تعالى له من الأجر العظيم ما الله به عليم، لذلك جاء في حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (عينان لا تسمهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)، وحراسة ليلية في موضع يخاف فيه على نفسه أفضل من ليلية القدر كما جاء في الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم بلييلة أفضل من ليلية القدر حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله)، بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد لمن حرس في سبيل الله أنه من أهل الجنة كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها).

• حتى لا يقع هكذا عدد من المجاهدين فريسة سهلة بيد الأعداء من صليبيين أو سواهم، فينقض عليهم العدو وهم نائمون.

• تعويد وتعليم النفس على الخشونة والقساوة فعندما يأتي دورك بالواجب، وجب عليك هجر الفراش الدافئ في الليلة الشديدة البرودة، والخروج وتحمل أعباء ومشقات هذا الأمر، لذلك فهو تدريب واختبار للمجاهد يجب أن ينجح به قبل أن يُقبل على مواجهة عدو.

يقول الأخ (أبو عيسى): وصل الواجب بالحراسة إلى الأخ (أبو عبد الله) والذي اختاره الإخوة ليكون أميرهم، بينما أخذنا نحن قسطاً من الراحة ونمنا لأننا كنا متعبين، وبعد الساعة الواحدة ليلاً بأقل من نصف ساعة وبينما كان الهدوء والظلام يخيم على أجواء القرية، فجأة سمع الأخ أصوات طائرات مروحية وآليات أميركية كثيرة تقترب من القرية، وما هي إلا فترة بسيطة حتى بدأت طائرات التجسس تحلق بكثافة في المكان، فجاء مسرعاً ليوقظنا وذكر لنا هذا الأمر المريب، فقال لنا لا تقلقوا وإن شاء الله يكون الأمر عارضاً، وإنني فقط أبلغتكم لتكونوا على علم وحذر، وأنا سأتابع الحراسة، وأذا حدث طارئ سأخبركم على الفور، وبعد فترة قصيرة جاءت الطائرات الأميركية وأنزلت جنودها في كل مكان، فتم تطويق القرية بأكملها ومن كل جوانبها لتقوم بمداهمة بيوتها، فأسرع إلينا أبو عبد الله ليوقظنا ويبلغنا أن القوات الأميركية قد حاصرت القرية.

بالطبع إن من يقرأ هذا الكلام ممن هو خارج ساحات الجهاد لا يعرف ما معنى أن تطوق القوات الأميركية منطقة ما .. ولتوضيح ذلك أكثر فالحقوات الأميركية حينما تريد تطويق وحصار منطقة معينة لمداومتها أو القبض على مطلوبين أو لمهمة أخرى، تقوم ضمن حركة خفيفة وسريعة جداً بإنزال جنودها من الطائرات على كل المداخل والمخارج للمنطقة، والتي بالتأكيد تكون قد درست خريطتها دراسة جيدة من قبل، إضافة إلى أنها وضعتها تحت مجهر الأقمار الصناعية، بعدها مباشرة تأتي قوات الإسناد البرية بكل آلياتهم المدرعة، وسبب وصول الآليات البرية بعد الطائرات هو لعلم الأميركي أن في المناطق الحيوية للمجاهدين يقوم المجاهدون غالباً بزرع عيون على الطريق المؤدي للمنطقة على بعد مسافة معينة، فبمجرد أن يصل إشعار إلى أهل المنطقة بأن آليات الأميركيين قادمة باتجاههم، هذا الأمر سيمنح المطلوبين منهم للإنسحاب إلى أماكن آمنة وبالتالي تبوء خطتهم بالفشل قبل بدايتها.

وبعد أن يُحْكَمُ الحصار، ينتشر القناصة الأميركان في كل مكان على أسطح المنازل أو الأماكن المرتفعة، ويبدأون بضرب كل من يتحرك وقتله على الفور، وفي أحسن الأحوال يُعطى إنذاراً أو إشارة ليزيرية بعدم الحركة ولا قتل على الفور.

يستيقظ الإخوة والمنطقة محاصرة بالكامل، وبالتأكيد فإن على الإخوة أن يقرروا ماذا يفعلون وبكل سرعة، لأن بقائهم بهذا المكان وبهذا العدد يعني أنهم معتقلين لا محالة، بالأخص وأن أغلبهم مطلوبون للقوات الأميركية بأسمائهم الصريحة والحركية، لذلك كان أمامهم خيارين لا ثالث لهما، إما الانسحاب أو المواجهة وفي كل الأحوال وعلى العموم فلكل خيار خطورته وتبعاته وعليهم تحملها بالكامل.

وفي مثل هذه المواقف، قد تتسبب الفوضى وعدم الانضباط، خاصة إذا لم يكن الأمير حاسماً في مواقفه، وقبل أن يختار الإخوة أي خيار تعاهد الجميع على أن يختاروا أي أمر سوى الأسر، وأن كل واحد منهم لا يُسلم نفسه للعدو مهما كانت الظروف، لذلك فبعد مشاهدة عملية الإنزال وتقدير عدد الجنود الأميركيين المشتركين بالعملية بالإضافة إلى آلياتهم ومعداتهم بما فيها الطائرات، قرر (أبو عبد الله) والإخوة معه الانسحاب وعدم المواجهة لعدة أسباب، منها كثافة القوات المشاركة وأيضاً ما يشكله خطر المواجهة على أهل القرية من النساء والأطفال والشيخوخة العزل المتواجدين بالقرية، ف للقوات الأميركية سوابق في إبادة قرى كاملة عن بكرة أبيها، لأن مجاهد أو اثنين فتحوا نيران أسلحته الرشاشة عليهم.

لذلك وعلى عجل من أمره، قَسَمَ (أبو عبد الله) الإخوة الستة الذين كانوا معه إلى ثلاثة أقسام لكي لا يسهل استهدافهم من قبل العدو، وأخبرهم بالمواقع التي من الممكن الخروج منها والتي تعتبر نقاط ضعف العدو، ثم ما أن بدأوا بالإنطلاق حتى تفاجئوا بأن القوات الأميركية قد انتشرت في كل مكان، فأمرهم أبو عبد الله إلى محاولة الوصول إلى جدول الماء القريب من القرية لتجنب المواجهة والقتال داخل القرية، والاستفادة من كثافة نباتات القصب والبردي التي تغطي جانبي جدول الماء، فخرجت أول مجموعة وهي مكونة من اثنين من الإخوة، وبعد مسافة من الجري شاهدوا الجنود الأميركيين على بُعد أمتار قليلة منهم يفتشون بيتاً ويفصل بينهم وبين الإخوة جدار فقط لا غير، بحيث أن الإخوة يرونهم والأميركان لا يرون الإخوة، فقام الإخوة بسحب سلاحهم من تحت القبوط (الجاكيت) تحسباً لأي مواجهة، فانسحبوا راجعين من حيث أتوا، وهذا ما حدث بالضبط للمجموعة الثانية ولكن الفرق أن الأميركان ومعهم عبيدهم حرس الردة قد شاهدوا الإخوة وأمرهم بالوقوف لكنهم تجاهلوا الأمر وركضوا من حيث أتوا، فالتقى الإخوة جميعاً في نقطة البداية، وعلى الفور أمرهم أبو عبد الله بأن يسلكوا اتجاه آخر، فغير الجميع وجهته، وبدأوا بالركض صوب الاتجاه الجديد، إلى أن وصلنا إلى وادي وفيه نهر وعلى جانبيه نباتات كثيفة من القصب والبردي، فنزل إلى الماء البارد مباشرة أربعة من الإخوة وبقي الأمير (أبو عبد الله) ومعه صاحبه (أبو عيسى) كي يؤمنا انسحاب الإخوة الأربعة، وبالأخص فإن الأخ (أبو عبد الله) شعر بأنه حين رَضِيَ بأن يكون أميراً على الإخوة، إعتبر أن الإخوة في عهد تهوأن عليه التزامات شرعية باعتباره الأمير، فقرر في قرارة نفسه أن يتحمل الأمر بكامله ولوحده.

تمكن الإخوة الأربعة من المسير لمسافة جيدة بين القصب والأعشاب ولم يتم كشفهم، وبعد مدة كشفت إحدى المروحيات التي كانت تُحلق على إرتفاعات منخفضة الأخ (أبو عبد الله) والأخ (أبو عيسى) معاً وعلى الفور أنزلت جنوداً أميركان على بعد أمتار منهم بحيث أن هواء المروحيات كان يضرب في وجوه الإخوة فلا يكادون يرون شيئاً، فوجهت الأضواء الكاشفة عليهم، وبروح التضحية والفداء لله تعالى، أمر (أبو عبد الله) رفيقه (أبو عيسى) بأن ينزل إلى الماء بسرعة ويتركه وحده يحمي ظهور الإخوة، فقال له (أبو عيسى) ننزل معاً الى الماء، قال هذا يعني أن نقتل معاً، ثم قال (أبو عبد الله) أنا أميرك وهذا أمر.

يقول (أبو عيسى): وقع كلام الأخ موقعاً عظيماً في قلبي، لذلك في البداية ترددت بقبول هذا الأمر، فوالله إنني لأعلم مقتضاه، فالفراق في هذا الموطن يعني الفراق في هذه الدنيا لا محالة إلا ما شاء الله، لكن إصرار الأخ عليّ، إضافة الى أن الموقف لا يتحمل النقاش أو الجدل وإلا هلكنا معاً، لذلك اضطررت وبكل مرارة لقبول هذا الأمر ونزلت إلى الماء مباشرة، وأنا أفكر في أخي (أبو عبد الله) الذي كُبر في عيني كثيراً، فالرجال تعرف بالشدائد، ونعلم إن الأخ كان شجاعاً وكريماً لكني لم أتخيل أن كرمه سيصل إلى حد تضحيته بنفسه.

ثم يروي أحد أهالي القرية ممن شهد الموقف فيقول: بعد أن أنزل الأميركان مجموعة من مقاتليهم، بدأوا يوجهون على (أبو عبد الله) أشعة الليزر إلى كل عضو في جسده (وهي إشارة تستخدمها القوات الأميركية وتعني بأنك محاصر وأن أي حركة خارج السياق سيتحول جسدك إلى أشلاء ممزقة)، لكن الأخ بقي واقفاً كالأسد، وسلاحه بيده يحاول أن يكسب الوقت وهو ينادي بصوت عالي لصاحبه (أبو عيسى) أن أسرع أسرع، بعد ذلك بدأ الجنود الأميركيين بالإقترب ببطء من الأخ (أبو عبد الله) محاولين تهدئته وتخفيفه بالسلاح بنفس الوقت لكي يتمكنوا من أسره، وبعد أن اقتربوا.. كُبر الأخ بأعلى صوته وأخذ يرشق من سلاحه الصليبيين وحرس الردة الذين كانوا معهم رشقاً، فحصدتهم حصداً إلى أن توقف إطلاق النار فعرفنا أن الأخ قُتل، والعلم عند الله أن الذي قتله هي المروحية بعد أن أتته رشقة رصاص منها فمزقت جسده رحمه الله.

مضى إلى ربه شهيداً (نحسبه كذلك والله حسيبه) عزيزاً شجاعاً بطلاً مقبلاً غير مدبر، سطر بدمه أروع ملاحم التضحية والفداء، ودخل في سجل الخالدين، وقُتل في موطن يتحسر عليه المسلمون يوم القيامة..

أما (أبو عيسى) فيكمل ما روى ويقول: كان الجو شديد البرودة لكننا لم نشعر ببرودة الجو من كثرة ما ركضنا في الإنسحاب، لكن حين نزلت إلى الماء كان الماء بارداً جداً يكاد أن يتجمد، ومن الصعوبة للمرء أن يتوضأ من ماءه فكيف بمن يغطس فيه، لذلك شعرت أن الدم قد تجمد في ساقي لكني مع ذلك استطعت الوصول إلى الضفة الأخرى، في هذه الأثناء سمعت إطلاق نار كثيف استمر ما يقارب الدقيقة أو الدقيقتين فعرفت أن الأخ (أبو عبد الله) قد استشهد (نسأل الله أن يتقبله)، وعند وصولي إلى الضفة الأخرى فأنني لم أقو على الحركة وجسمي يأبى من شدة البرودة، فخرجت من الماء ورجلي

لا تقوى على حمل جسدي، لذلك بقيت أزحف وأزحف إلى أن تعبت ولم أستطع مواصلة الزحف، فقامت بنزع سترتي المبللة وحذائي وبقيت جالسا أنتظر ما قدره الله لي، وقد تقطعت بي كل الأسباب، لذلك انقطعت عن كل شيء إلا الدعاء الخالص وطلب الغوث من رب العالمين.

يقول أبو عيسى : المشكلة هنا أن الأميركان حينما كشفونا عرفوا أننا اثنين، لذلك حينما قتلوا الأخ أبو عبد الله توجهت المروحيات إلى المنطقة القريبة لتحاول أن تكشفني، وبالفعل ماهي إلا دقائق حتى استطاع طيار إحدى المروحيات من تحديد مكاني، فوجّه الضوء الكاشف عليّ وبدأ ينزل ويقترب مني، وأنا لا أقوى على الحركة أو فعل شيء لذلك بقيت أنظر إليه وأدعو الله عز وجل من كل قلبي، فلم أذكر أنني انقطعت عن الدعاء لحظة واحدة، وكأن الطيار عرف أنني لا أقوى على الحركة وأن قواي منهارة، لذلك ما لبث أن أطفئ الضوء وعاد للتحليق، فجاءت مروحية أخرى وقامت بإنزال جنود أميركان على بعد ما يقارب المائة متر عني لكنني لم أستطع أن أراهم أو أعرف عددهم لأنني كنت في وادٍ قرب النهر، وهم نزلوا بالبستان فوق، فبدأ ثلاثة جنود أميركان ينزلون باتجاهي ويقتربون مني وينادوني بكلمات أنكليزية مثل (Stop-Ok) وكلمات أخرى لا أعرفها، وسلاحي مسحوب الأقسام وجاهز للرمي، فقط فتحت عتلة (الأمان) وبقيت انتظر بدون أي حركة، أنا في قرارة نفسي قد عزمت على المواجهة وما شجعتني أكثر على ذلك هو استشهاد أميري الأخ (أبو عبد الله) رحمه الله، وإن كان الشيطان يدخل عليّ من مداخل عدة لثنييني عن هذا الأمر فتذكرت قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: (أقسمت يا نفس لتنزلنه .. مالي أراك تكرهين الجنة).

وحينما اقترب مني الجنود الأميركان أكثر نطقت بالشهادة عدة مرات ثم كبرت الله عز وجل ورشقتهم رشقا برصاص سلاحي وأنا جالس، وضربوني هم أيضا لكن كل إطلاقاتهم كانت فوقني فشعرت أنهم وقعوا جميعهم أرضا، ولا أعرف ما الذي جرى لكن المنطقة هدئت تماما إلا من المروحيات التي تحلق، وكنت بانتظار الجنود الآخرين، فليس من عادة القوات الأميركية أن تنزل ثلاثة جنود فقط لإلقاء القبض على مجاهد، لكنني ومن عدة قرائن تبين لي أنه لا توجد قوات أخرى في المنطقة، لذلك كان لابد عليّ أن أبادر، فاستجمعت كل قواي وتوكلت على الله عز وجل فاستطعت الوقوف على رجلي وبدأت أمشي ببطء وأنا أعرج إلى أن وصلت الجنود الأميركان، فلما رأي أحدهم وكان مستلقيا على وجهه وبطنه تنزف من الإصابة بدأ بالزحف بصعوبة خوفا مني، فلما وصلت فوق رأسه قال لي (No Please Nooooo) يستجدي مني الحياة، سبحان الله وهو يتكلم هذا الكلام تذكرت قوله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) (البقرة: ٩٦)، فخطر في نفسي أنني لو استطعت أسره لما ترددت أبداً لكنني أعلم يقيناً أنني محاصر وطائراتهم تدور فوق رأسي لذلك وبدون أي تردد صوبت سلاحي برأسه وأطلقت عليه رصاصة واحدة فتناثر رأسه، ثم رجعت على الاثنين الآخرين ووجدت أحدهما ما زال حياً ويأن وكأنه غائب الوعي وأيضاً رميته بطلقة واحدة برأسه، وكذا الحال مع الثالث.



ثم رجعت إلى مكان آخر في الوادي واختبأت بين العشب الموجود على حافة الماء وأنا أرتجف برداً، فسمعت بصوت الطائرات تهبط لتحمل القتلى والمصابين، ولكن على الجانب الآخر وهو مكان المواجهة مع الأخ (أبو عبد الله) رحمه الله، ثم أقلعت الطائرات وتحولت إلى الصوب الذي أنا فيه، وما أن شعرت أنهم توجهوا باتجاهي حتى استلقيت وحضرت سلاحي بيدي وبدأت أحمل العشب وأضعه فوق رأسي وأدعو الله تعالى بأن يحفظني من شرورهم، وهنا أصبحت لا أرى شيئاً ولكني توقعت أنهم سينزلون عدداً من الجنود للبحث عني وقتلي بالأخص بعد أن يروا أصحابهم الثلاثة وهم مخرجين بالدماء هلكي، بالإضافة إلى ذلك فأن الطائرات قد حددت الرقعة التي أنا فيها ويعرفون أنني في مكان ما بداخل هذه الرقعة، بقيت أنتظر إلى أن سمعت صوت الطائرات وهي تقلع، فعم السكون المنطقة، إلا من هدير الماء الذي يحيط بي، وبقيت أترقب بحذر وصول الجنود الأميركان مترجلين إليّ لأبدأ بقتالهم، إلا أنه لم يأت أحد، وبقيت على هذه الحال فترة طويلة لا أستطيع حتى أن أرفع رأسي لأرى ما يجري، لأنني أعرف أنه في حالة وجود جنود أميركان فأن أي حركة للعشب معناها أن المكان سينبش نبشاً بالرصاص، ولكن بالمقابل ومن خلال خبرتنا في معارك مع الأميركان أنه في بعض الأحيان حينما يُقتل من الأميركان جنودٌ وهم يقاتلون في منطقة وعرة ولا يعرفون العدو جيداً ومكانه، فيختارون الانسحاب مكتفين بما حل بهم من خسائر على أن يُستدرجوا لخسائر أكثر.

الحقيقة أنا كنت أنتظر قدوم النهار من جهة، لأن الأميركان عادةً ينسحبون قبل شروق الشمس، وبنفس الوقت لا أريده لأنني وإخواني سننكشف في حال عدم انسحاب الأميركان، وبالأخص كان بالي مشغولاً جداً على أحد الإخوة حيث لم يكن يحمل سلاحاً، فخشيت عليه كثيراً من الإعتقال والوقوع بيد الصليبيين، بينما الآخرين كانوا مسلحين وأعرف يقيناً أنهم لن يسلموا أنفسهم إلى الأميركان، وإذ بطائر (القلق) في هذه الأثناء يقع بجانب رأسي على الأعشاب، ولم يستطع أن ينهض لأن الشوك والعشب أحاطه من كل جانب فبدأ يضرب بجناحيته ليحاول أن يفك نفسه من العشب ويطير، وبعد عدة محاولات تمكن من الطيران .. فرفعت رأسي مباشرة لأنني عرفت أن المنطقة خالية ولو كان فيها أحد لضرب مكان هذا الطير، فقلت وكأن هذا الطير مرسل من السماء ليطمئنني، فاستبشرت خيراً، الساعة الآن هي قرابة الثانية بعد منتصف الليل بقليل .. لكني بقيت أنتظر بهذا الوادي ولا أستطيع أن أرى ما يجري فوقي، وتوقعت أن الأميركان موجودون بالجانب الآخر من

القرية لإكمال عمليات الدهم والإعتقال، وبقيت على هذا الحال إلى أن انبعث صوت ينادي: الله أكبر الله أكبر، معلناً الأذان الأول لصلاة الفجر، ثم بدأت بالدعاء والإستغفار إلى أن أذن الأذان الثاني، فصليت مباشرة وأنا جالس في الماء وحمدت الله عز وجل حمداً كثيراً، ومع هذا كله بقيت بداخل الوادي أنتظر، وما أن بدأت ظلمة الليل تنجلي حتى سمعت أصوات إخواني المجاهدين وهم ينادون بأعلى صوتهم على الأخ أمر المجموعة (أبو عبد الله) وكذلك عليّ، فعرفت أن الأمير كان قد غادروا المنطقة، وبعد أن تأكدت من أصواتهم حاولت النهوض من مكاني فلم أستطع فرجلاي لا أحس بهما من شدة البرودة، لذلك بدأت أزحف إلى أن وصلت نقطة معينة فرفعت يدي وصحت بصوت عالٍ (أنا هنا)، فجاء الإخوة يركضون باتجاهي فسلموا عليّ وحمدوا الله على سلامتي وحملوني مباشرة وأخرجوني من الوادي، وظنوا بأني مصاب فقلت لهم لا تقلقوا فأنا لست مصاباً، ولما رأيتهم جميعهم حمدت الله أن أي أحد منهم لم يصب، فبادروني بالسؤال مباشرة فقالوا أين (أبو عبد الله)، قلت لهم تركته بالضفة الأخرى يواجه الأمير كان عند المنطقة الفلانية، فذهب الجميع للبحث عنه وبقيت أنا في مكاني أنظر إليهم، وبينما هم يبحثون وجدت أحد الإخوة نظر إلى الأسفل ثم وضع يده على وجهه، وأخذته الحسرة فدمعت عيناه، فعرفت أنه وجد الأخ مقتولاً، فاسترجعت مباشرة وذكرت دعاء المصيبة، ثم نهضت ونسيت ما حل بي من ألم وتعب، واجتمعنا قرب جسده الطاهر.. فنظرت له ولسان حالِي يقول: هنا تسكب العبرات وتذوب المهج بالحسرات وتجري الدموع الجارية.. قُتل الأخ رحمه الله وهو يحمي ظهورنا، فضحى بحياته لنعيش.

يجود بالنفس إن ظن البخيل بها ❖❖❖ والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فقال أحد الإخوة من مجموعتنا، والله لقد واضبنا على حضور الدروس الشرعية وسمعنا الكثير الكثير من الأحاديث والقصص لكنها كانت تمر علينا دون أن نفقه حقيقة معناها، فكم تكررت علينا مثلاً القصة التي حكاها حذيفة العدوي بقوله: (انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: أه! أه! فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: أه! أه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات).

هذه القصة وأمثالها لم نفقها ولم نعرف معناها الحقيقي إلا بعد أن رأينا هذا الموقف بأم أعيننا من أخ لنا جاد بنفسه لينقذنا، وكذا الحال مع أغلب العلماء والفقهاء وما شابههم في عصرنا اليوم ممن يتصدرون المنابر فتراهم يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وصدق من قال: طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل.

فهذا والله من فضائل الجهاد وما زادتنا دماء الأخ التي سألت منه إلا دافعاً وهمة وعزماً للمواصلة على هذا الدرب فلنتعاهد أن ننتصر لديننا من هؤلاء الصليبيين الحاقدين أو لنقتلن كما قُتل أخونا هذا. ثم واصل (أبو عيسى) رواية ما حدث وقال: بعد فترة تجمع المسلمون من أهالي القرية، وهم ينظرون بعين الإعجاب والفخر لهذا الأخ الذي سرعان ما انتشر خبره في القرية، وكان أهل القرية طيبين وذوي نخوة وغيره، فقالوا لنا (حفاظاً علينا) يمكنكم أن تخرجوا من هذه القرية الآن وسنتولى نحن تشييع الأخ ودفنه.

الحقيقة أننا لما وصلنا للأخ ورأيناه مقتولاً، رأينا بجانبه آثار ما حدث للأميركان، فوجدنا خودة مضروبة بالرصاص، وأخرى فيها بقايا من (مخ) جندي أميركي، ووجدنا (شماغ) فيه الكثير من الدم يعود لأحد أفراد حرس الردة، فتعجبنا لماذا لم يقيم الأميركان برفع كل هذه الآثار؟ ولماذا لم يحملوا جثة الأخ (أبو عبد الله)، هذا بالإضافة إلى أن طائرات التجسس كانت لا تزال تحلق بالمكان، لذلك شعرنا بأن ترك جثة الأخ هو كمين لنا، فكان الأفضل لنا أن يقوم أهل القرية بدفن الأخ على اعتبار أنه حتى لو كانت جثة الأخ مراقبة فأن من يدفنه هم عوام المسلمين، ولكن لم يطاوعنا قلبنا أن نترك أخانا ونمشي، وأيضاً فكرنا بأهله وأن نوصل إبنهم إليهم ليودعوه الوداع الأخير، لذلك اتفقنا على أن نتوكل على الله ونحمل جثة أخينا، فشكرنا أهل القرية كثيراً على وقفتهم المشرفة هذه، ثم اتصلنا بالإخوة القريبين من هذا المكان وأبلغناهم بمكاننا وبما جرى لنا، وعلى الفور أرسل لنا الإخوة سيارة فيها مفرزة من الإخوة، ثم قمنا بحمل الأخ في السيارة إلى بيت ثم انتقلنا إلى مقر خاص لنا وهو بيت فارغ خارج هذه القرية نتخذه كمطلق لنا في العمليات الجهادية، فقال الإخوة يبقى اثنين فقط مع الأخ وينسحب الجميع وبالأخص نحن الذين كنا في واجب أمس، لحين أن نتأكد من الطريق وخلوه من الكمائن وكذلك نجهز قبر الأخ، وبعد كل ذلك نبلغ أهله وعلى الفور ندفن الأخ حتى لا نشير الأمر، فخصص الإخوة اثنين للبقاء مع جثة (أبو عبد الله)، لكن ولشدة تعلقي بالأخ (أبو عبد الله) وكلماته الأخيرة التي ما زالت ترن في أذني، لم أستطع أن أفارقه فقلت أنا أبقى معه، فأجابني أحد الإخوة وقال إرجع إلى أهلك لتستريح من هول ما جرى بك بالأمس، فقلت لا والله لن أفارق الأخ حتى أدفنه بيدي، وبالفعل بقيت أنا وبقي معي الأخ (أبو يحيى)، وهو أحد أفراد المفرزة التي وصلت وذهب الجميع، وكانت الأمور هادئة جداً، فاستأذنت من الأخ لأفكك سلاحه فأذن لي وقال إن سلاحه جاهز في حال حدوث أمر ما، ثم بدأت أفكك سلاحه لأنظفه وأجفذه جيداً، لأن السلاح قد تشبع في الماء والطين ليلة أمس، وبالفعل فقد فككت سلاحه وتركته ليحف، ثم بدأنا بترتيب وضعنا في حالة حصول طارئ معين وكانت الساعة في حينها تشير إلى العاشرة صباحاً، بعدها جلسنا أنا والأخ بجانب جثة الأخ (أبو عبد الله) فكانت سببته مرفوعة كأنه يتشهد، لكننا شاهدنا طلقة بيده بين السبابة والأبهام، فبدى لي والله أعلم أن هذا المشهد قد أغاظ الأميركان أو المرتدين من الحرس الذين كانوا يرافقوهم لذلك أطلقوا هذه الطلقة بعد مقتله رحمه الله، ومع ذلك بقي الأخ متشاهداً، وأنا بنفسى سمعته قبل أن أفارقه وهو يتشاهد بصوت عالي.

بدأنا بإخراج أغراض الشهيد من جيوبه (موبايل، سواك، مسجل Mp3 صغير فيه قران ومحاضرات، إضافة إلى مصحف صغير)، وبعد فترة رن جهاز الموبايل وإذ به والد الشهيد، فترددت في أن أرد عليه، ثم فعلت ومباشرة بعد أن لم يسمع الوالد صوت ابنه شعر بأن هنالك شيئاً ما فبادرني بعدة أسئلة أين إبنى؟ هل حدث له مكروه؟ هل أصيب؟ الحقيقة لم أتمكن من إخفاء الأمر فأبلغته أن إبنك أبلى بلاءاً حسناً، وقد قتل في سبيل الله تعالى مرفوع الرأس بعد أن إشتبك مع الصليبيين، فلم يتمالك الأب نفسه وبدأ يبكي ويسترجع، فقلت له يا عم، إحتسب مصابك عند الله عز وجل، ونسأل الله أن يتقبل أخانا في الفردوس الأعلى، وأن يجعله شافعاً لكم يوم القيامة، والله إن إبنك قدوة لنا ومثالاً في الشجاعة والإقدام، وهكذا انتهت المكالمة والأب يبكي ويسترجع وأنا أصبره.

الحقيقة أن الإخوة تأخروا علينا قليلاً، والطائرات بدأت تحلق بكثافة في المنطقة وبدأنا نتناوب

الحراسة أنا وصاحبي من فوق سطح البيت، لكن مع ذلك فتخليق الطائرات كان شبه طبيعي لأنه كان على المنطقة بأكملها ولم نشعر أن هنالك تركيزاً على بيتنا، ولكن تبين لنا فيما بعد أننا كنا مراقبين وأن الطائرات تقصدت أن تكون بعيدة عنا حتى لا نشك بالأمر ومن ثم تتم مدهمتنا واعتقالنا.

بعد فترة سمع الأخ (أبو يحيى) صوتاً، فخرج مسرعاً واذ بالهمرات الأميركية تأتي مسرعةً باتجاه البيت، حيث إن للبيت طريقاً واحداً فقط للوصول إليه، فرجع في الحال فأبلغني فحمل الأخ سلاحه وحملت قطع سلاحي المفكك، ثم انطلقنا إلى الباب الخلفي للبيت تاركين جثة الأخ في البيت، وهذا الباب يبعد عنه بمسافة بسيطة نهرٌ جارٍ صغير فيه القصب والأعشاب الكثيفة، وبينما أنا أركض مسرعاً سقط مني غطاء بدنٍ سلاحي، ولم أستطع الرجوع لجلبه، لذلك ما أن بدأت القوات الأميركية مدهمة البيت كنا نحن قد عبرنا إلى الضفة الثانية، بالتالي فكل القوات التي جاءت بآلياتهم ومدركاتهم لن تستطيع عبور هذا النهر، وعليهم البحث عن جسرٍ لعبور آلياتهم وأقرب جسر على هذه المنطقة يبعد مسافة كبيرة جداً ففشلت خطتهم في الحال.

ومن هذا الموقف .. يتبين كيف يختار المجاهدون المواقع أو المقرات الجهادية بدقة عالية، فالباب الخلفي يؤمن لك انسحاب من جهة ومنطقة مغايرة للمنطقة التي يهاجمك العدو منها، ووجود نهر قريب على المقر يشل حركة القوات البرية بكل الآليات، وكذلك كثافة القصب والبردي والأعشاب على جانبي النهر تقلل من فعالية أو سيطرة الطائرات على الأرض.

ولكن رغم أن الإخوة تمكنوا من الإفلات من القوات البرية لكنهم كانوا يخشون الطائرات التي كانت لا تزال تحلق بالجو، المهم بعد أن عبر الإخوة إلى الضفة الثانية للنهر ساروا لمسافة بين الأعشاب والقصب، فاستطاع الأخ (أبو عيسى) أن يركب سلاحه ويجهزه، ولكن بدون غطاء بدن، ثم خرجوا من منطقة مغايرة وقد أخفوا سلاحهم تحت القبوط (القمصلة) محاولين التمويه قدر الإمكان بأبنهم من العوام، ولكن الطريق الذي يسلكوه هو أرض قاحلة مستوية فلا بيوت أو بساتين في هذا الطريق، وأقرب قرية عن هذا المكان تبعد ما يقارب (٢٠٠٠ متر) فظل الإخوة يمشون باتجاهها.

يقول الأخ (أبو يحيى): شاهدنا على بعد مسافة راعياً يرعى بغنمه، فاتجهنا صوبه إلى أن وصلناه وبدأنا نتماشى معه وكأننا رعاة، لكن بدا أن الطائرات كانت تراقبنا، فعرفوا أن المجاهدين المطلوبين الذين خرجوا من البيت هم الذين يمشون مع الراعي، وما هي إلا دقيقتين أو أكثر بقليل حتى جاءت مروحيتان أميركيتان حلقت الأولى بارتفاع منخفض فوقنا حتى صرنا نرى الجندي الأميركي القابض على الرشاش (البكتة) الموجه علينا، بينما بقيت الثانية تحلق عالياً، وحاول هذا الجندي أن يجبرنا على الوقوف لحين وصول القوات البرية لإعتقالنا، لأننا عرفنا أن الهمرات ذهبت بالطريق الموصّل إلى الجسر لتعبر النهر وتتوجه نحونا، لكننا أصررنا على المتابعة والسير وتجاهلنا ما رأيناه وكأن شيئاً لم يحدث، وهنا رأينا أن الراعي خاف كثيراً من مشهد المروحيات، لذلك قلنا له مباشرة هذا فراق بيننا وبينك توكل على الله وجزاك الله خيراً، ففرح الراعي كثيراً لأن فراقنا له يعني نجاته، ودعا لنا بأن يحفظنا الله بحفظه ثم سار في طريق آخر.

فبدأ الطيار يرشق رصاصاً بقربنا، بحيث أن التراب الذي يثيره الرصاص يضرب في وجوهنا، ونحن نتشاهد ونذكر الله، بالنسبة لي فقد أثارني ضرب الرصاص بقربنا كثيراً فقلتُ لـ (أبو عيسى) سأخرجُ سلاحِي وأتواجه معه، فقال - لا - ليس هذا المكان الصحيح للقتال فهم محصنين بطائراتهم ونحن مكشوفين، الأفضل أن نجدَ بناية ونحتمي خلفها ثم نُقاتل حتى نتمكن أن ننكأ بهم قبل أن نُقتل، ونحن نعلم أن الطيار يتمكن بصاروخ أو حتى بالرشاش أن يقتلنا مباشرة، ولكننا عرفنا من سياق الأحداث أنهم يريدوننا أحياء، لأنهم خسروا العديد من جنودهم يوم أمس على يد الأخ (أبو عبد الله) والأخ (أبو عيسى)، وهم يعرفون جيداً أن للمجاهدين نفوذاً كبيراً في هذه المنطقة، لذلك ففي حساباتهم أننا إذا أسرنا من الممكن أن نعترف من جراء التعذيب البدني أو النفسي، فتدمر خلايا جهادية كاملة لإخواننا أو نُوقف العمل بالمناطق التي ستتأثر.



واصلنا المسير، فارتفعت المروحية عالياً فلما رأيناها عرفنا أن أمراً ما سيحدث، فلم نزل نلتق بالشهادة حتى أطلق علينا الطيار صاروخاً تقصد الطيار أن يسقط على بعد مسافة عنا. بالتأكيد إن الموقف صعبٌ جداً، فليس من السهل أن ترى الموت بأم عينيك، لكن مع ذلك فإن في هذا الأمر حلاوة لا يذوقها إلا من يمر في هذا الوطن أو أمثاله حتماً، حيث تتجرد كل الأسباب الدنيوية تماماً وليس بإرادتنا فنظن أننا أحيط بنا ونشعر يقيناً أن ليس لنا إلا الله عز وجل، وفوق ذلك نظن أننا قريبين جداً من رحمة الله عز وجل، فليس بيننا وبينها سوى خروج الروح من الجسد فنتوجه بدعاء صادق مخلص يختلف طعمه وذكره عن الدعاء الذي نلهجبه في كل حين، وهكذا عرفنا بالضبط مُراد الله عز وجل في قوله: **(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** (يونس: ٢٢).

فلما خرجنا من بين التراب الذي أحدثه الانفجار سالمين مُعافين، عرفنا أن الأميركان يريدون أن يرهبونا فوالله ما ازددنا إلا أصراراً وعزيمة، فتعاهدنا عهداً مغلفاً أن لا نُسلم أنفسنا لعدونا، فتجاهلنا كل الذي جرى وبقينا نمشي حتى وصلنا الى جسر، فقذف علينا الطيار قنبلة دخان أخضر لتنبهنا فتجاهلناه وعبرنا الجسر، وإذ به يقذف دخاناً أحمر وكأنه إنذار نهائي وبدأت الطائرة تنخفض باتجاهنا حتى رأينا الجندي الأميركي وهو يشير لنا بيده، بما معناه أن توقفوا مكانكم وإلا رميتكم، فتجاهلناه، فاعتناظ كثيراً، واستمرينا بالمسير إلى أن وصلنا قرية، وعند دخولنا القرية طارت الطائرة بعيداً عنا ورأيناها تهتز، وعرف الطيار أنه بعد مسافة قليلة سنكون خارج سيطرته فقال لي (أبو عيسى): (تُشاهد) فإن الطيار سيطلق الصاروخ، وتشاهدنا وبدأنا نتسلى بذكر الجنة والحدود العن ورؤية ربنا والنبين والصحابه .. وسبحان الله مع أني خرجت الكثير من الواجبات والعمليات والإشتباكات، وحدثت أمامي عدة إنزالات ومدهامات للجيش الأميركي، إلا أنه في كل ما سبق لم تنزل عليّ الطمانينة والسكينة بمثل ما أنا عليه اليوم.

ومع ذلك الطائرة لم تطلق شيئاً، إلا أننا بدأنا رؤية القوات البرية من بعيد وهي تتوجه نحونا، ولكن بعد أن أنجانا الله من كيد الطائرات الأميركية والتي كنا نشعر أن بيننا وبين الموت شعرة، لذلك فإن مشهد تقدم القوات البرية باتجاهنا كان أمراً أهون علينا بالضبط كالمثل الذي يستخدمه أهلنا بكثرة هنا وهو: (اللي يشوف الموت يرضى بالسخونة) لذلك بدأنا الإستعداد والتهيئة للمواجهة.

ثم يكمل الأخ (أبو يحيى) ويقول: بقينا نمشي مسرعين والقوات الأميركية تقترب منا شيئاً فشيئاً لذلك وجب علينا الإسراع للتحصن في أقرب مكان يقابلنا لنحاول إنزال الاميركان من دروعهم للمواجهة، وفي هذه الأثناء دار الحديث بيني وبين (أبو عيسى) عن إمكانية السلاح البسيط الذي نحمله مقابل إمكانيات القوات الأميركية التي ستصلنا، وهذا الحديث من باب الصبر والمصابرة وفيه نوع من الإبتسامه، ثم تلونا قوله تعالى: **(لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)** (النساء: ١٠٤)، وبدأت تصل الهمرات البرية لكننا لم نجد أي شيء نتحصن به إلى أن وصلنا إلى بناية رأيناها وكأنها مهجورة وحين اقتربنا منها تبين أنها مدرسة ابتدائية صغيرة جداً مبنية بالطين واللبن، موقعها معزول عن القرية حيث أن أقرب بيت يبعد عنها مسافة لا بأس بها، فدخلنا بها وحسبناها فارغة، وإذا بنا نجد الأولاد والبنات فيها، وهي مكونة من ثلاث غرف على شكل حرف (L)، لذلك فكرنا أن نخليها من كل الذين بداخلها ونقاتل منها لسببين، الأول هو أننا تحاصرنا ولا نستطيع الوصول إلى أي مكان آخر، والثاني هو أن مكانها معزول فلو دارت المعركة في هذه المنطقة فنحن بعيدين نسبياً عن أهالي القرية وهذا الأمر هو من ضمن السياسة الشرعية التي تربينا عليها على يد من سبقونا في ساحات الجهاد، وبعد دخولنا قال لي الأخ (أبو عيسى): حاول أن تخرج أنت من هذا المكان حتى لو متخفياً وأنا سأواجه مع الأميركان، حتى نقلل الخسائر، فأجبت: لا والله نحن مشينا الطريق معاً وتحملنا المخاطرة معاً فلن أغادر هذا المكان وأتركك حتى يكتب الله ما قدره لنا.

ويكمل الأخ (أبو يحيى): فاتفقنا أن نفترق أنا وأخي (أبو عيسى) ويأخذ كل واحد منا غرفة ليقاقل منها حتى نطاول في المعركة قدر المستطاع ونحاول أن نوقع ونشخن بالعدو قبل أن يتمكن منا، فقال لي (أبو عيسى) أذهب للغرفة الأخيرة وجهر نفسك وأنا سأتولى التحدث مع المعلمين وإخلاء المدرسة ومن ثم ادخل الغرفة الأولى المواجهة للباب، وبالفعل ودعت الأخ وودعني ودعونا الله أن نلتقي بالجنة، فدخلت إلى تلك الغرفة وبدأت أجهز سلاحي للمعركة.

يقول الأخ (أبو عيسى): ذهبت إلى المعلم المسئول على المدرسة فسلمت عليه فرد السلام وقال لي ما الذي يجري؟! قلت له نحن مجاهدون وحاصرنا القوات الأميركية إلى أن وصلنا لهذا المكان، والقوات البرية الآن تحاصر المدرسة والطائرات كما تراها بعينك فوق رؤوسنا، لذلك أرجو أن تخرج الطلاب وكل الكادر، فقال لي وأنتم؟! فقلت له الله معنا وهو كفيلنا، فاستجاب الرجل جزاه الله خيراً وبدأ بإخلاء الطلاب من المدرسة، أما أنا فقد هانت عليّ الدنيا بكل ما فيها وأنا أعيش فيها أنفاسي الأخيرة إلا ما شاء الله، لذلك ذهبت إلى الطلاب أدعيتهم فوجدت طالبة صغيرة تبكي فسألتها لماذا تبكين؟ قالت أريد أن أذهب إلى الصف فأوصلتها إلى صفها، ورأيت طالباً آخر فسألني وقال لي (عمي أنتم اللي كانت الطائرات تضرب بيكم هناك؟) فأجبته (أي عمي) فسألته عن صفه؟ فقال أنا في الرابع الابتدائي، فسألته (شاطر لو كسلان؟) فقال (لا أنا شاطر وقد نجحت) فقلت له (عفية بالبطل) ثم واصلت وقلت له (أنتم هسة كلكم تروحون على أهلكم) قال لي (وأنتم؟) فقلت له (هسة لحيجون الأميركان ونضارب أحنة وياهم حتى ندافع عنكم ونحافظ عليكم وعلى أهلكم من هذولت الكفار المحتلين)، وبالفعل بدأت المدرسة تفرغ بعد أن خرج جميع الطلاب منها فناديت على المعلم وكان رجلاً طيباً جداً فسلمته أمانات الأخ (أبو عبد الله) (موبايل، سواك، مسجل MP3 صغير فيه قران ومحاضرات، إضافة إلى مصحف صغير)، وقلت له هذه الأمانات لأخ لنا قُتل ليلة أمس فأرجو إيصالها، وأبلغته بعدة أسماء موجودة في الهاتف يسلم هذه الأمانات لهم، وطُلبت منه أن يسلم على كل الإخوة وأن يعذروني من أي تقصير أو إساءة قمنا بها وأن يدعوا لنا بالجنة.

ثم أوصيته وصيةً أخرى للأخوة وقلت له: أبلغهم أن يطمئن كل الإخوة بأننا تعاهدنا أن لأنسلم أنفسنا .. نقاتل حتى نموت لذلك إذا سمعوا أخباراً من هنا أو هناك بأننا أسرنا فهي مكيدة من العدو لغرض استدراجهم، وكان المعلم حزيناً جداً وودعني وعيناه تدمع لأنه شعر أن الموت يحاصرنا من كل اتجاه، ثم خرج وبخروجه فرغت المدرسة تماماً، وبالطبع فإن المعلم حين يخرج كان عليه أن يمر من بين الأميركان لأنهم الآن يحاصرون المدرسة وبالأخص عند الباب الرئيسي لها.

يقول الأخ (أبو يحيى): بعد فترة بسيطة انتشرت الهمرات الأميركية ومعهم أفراد من حرس الردة، وحاصرت المدرسة ووجهت كل همم (البكتة) باتجاه المدرسة، ثم تقدمت همم إلى الباب الرئيسي ثم رجعت، وهكذا ظلت تتقدم أماماً وترجع خلفاً عدة مرات ليحاول سائقها استقرازنا، ولكن والله الحمد فالله عز وجل ثبتنا ولم نطلق أي رصاصة لأن ذخيرتنا معدودة فكل واحد منا كان يملك مخزناً واحداً في رشاشته فيه (٧٥ طلقة)، ثم لا فائدة تذكر من ضرب آلية مدرعة بالرصااص والجنود بداخلها، لذلك بعد أن تأكد الأميركان أننا لم نضرب أي إطلاق صار عندهم نوع من الإطمئنان بأننا من الممكن أن نسلم أنفسنا ولا نتواجه معهم، فرجعت هذه الهمم ونزل الجنود الأميركان من

آلياتهم، فتقدمت آلية مصفحة من نوع برادلي على الغرفة التي أتواجد بها ووقفت أمام الباب مباشرة فأغلقت عليّ الباب تماماً وهم لا يعلمون أنني متواجد بداخل هذه الغرفة، لذلك لم يكن أمامي أي مخرج فتشاهدت وصوبت سلاحني باتجاه الباب وعزمت أن لا أطلق طلقة حتى يدخل عليّ الجنود الأميركان، ثم سمعت رمية كثيفة بالرصاص باتجاه الغرفة التي كان أخي (أبو عيسى) يُقاتل فيها، فدمعت عيني عليه واحتسبته شهيداً في الحال، وسألت رب العزة أن أثار لدينه من هؤلاء الصليبيين وألحق بأخي مقبلاً غير مدبر.

أما (أبو عيسى) فيقول: أنا كنت بالغرفة المقابلة للمدخل الرئيسي الذي سيدخل الجنود الأميركان منه، لذلك جلست على كرسي متحرك عند باب الصف وتشاهدت وسحبت أقسام سلاحني الذي كان ينقصه غطاء البدن، ثم تذكرت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وخطر عليّ بالصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه .. لا أعرف بالضبط لماذا بلال! فسألت الله عز وجل أن يحشرني بالجنة معه، وأن لا أُقتل قبل أن أُقتل من الصليبيين، وهنا جاءني خاطرة أنني تندمت لأنني سلمت جهاز الموبايل إلى المعلم وقلت في نفسي لو تركته معي لاتصلت بأهلي ووالدي ووالدتي لأودعهم الوداع الأخير وأسألهم الدعاء، وأن يعفو عني ويغفروا لي، فلما رأيت الجنود الأميركان الراجلة ومعهم أفراد من الحرس تتقدم إلى المدرسة تذكرت قول الصحابي في غزوة مؤتة حين قال:

يا حبذا الجنة واقترباها ❖❖❖ طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ❖❖❖ كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذا لاقيتها ضرابها

رأيت ما يقارب (٢٠-٢٥) جندي متوجهين عليّ وأراهم وهم يتبخثرون بالمشي وهم يلبسون دروعهم وحاملين سلاحهم وهم بوضع إستعداد للرمي، لكن وكأنهم غرتهم كثرتهم وعدتهم وشعروا بأننا لن نقاوم، وحين اقتربوا من الغرفة حتى أنه لم يبق بينهم وبين باب الغرفة مسافة متر واحد، تشاهدت وخرجت عليهم ووجهت سلاحني عليهم وأمطرتهم بوابل كثيف من الرصاص وأنا أكبر بصوت عالي، وأنا أراهم بعيني فلا يفصلني بهم سوى متر واحد فأرى إطلاقاتي حين تأتي على رأس الجندي الأميركي فتنتشره نثراً، أو على يده أو على رجله، وبدل أن يردوا عليّ بدأوا يصيحون كما تصيح الأطفال بل والله أكثر، وأنا لم أتوقف عن الرمي لحظة واحدة، يعني رميت ما يقارب ٤٠ أو ٤٥ إطلاقاً مرة واحدة وأراهم ينبطحون أمامي منهم من يُقتل على الفور ومنهم من يصاب، فلا أعرف هل أن الأميركان رأوا ملائكة كانت تقاتل؟ والله لا أعرف بالضبط ما الذي حصل وجعل الأميركان يبهتون بهذه الطريقة؟ وتذكرت قول الله عز وجل: **(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)** (الأنفال: ١٧)، وهذا الكلام حدث للحظات أو ثواني معدودة، ثم بدأ الرشق بالرصاص ينهال عليّ من الأعلى ومن الأسفل واليمين والشمال، ولكن ليس من هؤلاء الجنود فوالله لم يتمكن أي منهم من أن يطلق إطلاقاً واحدة، وإنما من البكتات والبي كي سيات التي فوق الهمرات، فكان جسمي ينصاب في كل مكان وينزف دماً وأنا كنت أظن أنها طلقات العدو، ولكن تبين أنها شظايا وأحجار من جدار الصف الذي أقف بجانبه، وأنا مستمر بالرمي وصرت لا أرى شيئاً لأن الجو صار كله مغبراً ورأحت البارود تملأ المكان، إلى أن أصابتني إحدى الطلقات، لا أعرف أين بالضبط، ولكنني أحسست

أني قُذفت جانباً وأن أعصابي تخدرت بالكامل وسقطت مباشرة على ظهري وغبت عن الوعي وبدأت أنزف دماً، وبقيت على هذا الحال لفترة ثم عاد لي وعيي وفتحت عيني فأحسست أني ممدد وأنزف ولا أستطيع الحركة، والجو ما زال مغبراً فلا أستطيع أن أرى أحداً ولا أحداً يراني فقط أسمع عويل الجنود الأميركان، بل أن سلاحي كان قد سقط مني بقربي ولا أستطيع أن أراه فبقيت أتلتمسه إلى أن وجدته فرفعته ووضعته فوق بطني وتمددت مرة أخرى وفقدت الشعور وغبت عن الوعي، وأنا لا أعرف هل أنا ميت أم حي أم هي سكرات الموت، ولكن كل ما كان يشغلني أمرٌ واحدٌ لا غير ألا وهو ملك الموت كيف سأراه وهل الرجل الذي سيمثل أمامي حسن الوجه أم قبيح .. أنتظر نتيجة أعمالي.

ثم شعرت أنني لا أحس بالألم أو ما شابه، ولكني لم أفق، فخطر لي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: **(ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)**، فقلت لعل الله تقبلني شهيداً ولم أشعر بخروج روحي وكأني فرحت، في هذه الأثناء صحت وبثواني بدأت أركز حوالي أسمع أصوات المعركة وإذا بي أنا حيٌّ وأرى بعيني من وسط التراب والغبار الأميركان وهم يحملون قتلاهم وجرحاهم فاستجمعت قواي وعاد تركيزي وقلت في نفسي ما الذي أنتظره والأميركان أمامي والله أحياناً، فجلست وحملت سلاحي ورشقت رشقةً أخرى من رصاص سلاحي فمن تصيبه إطلاقاتي أراهم بعيني وهم يقتلون، أما الآخرون ففروا خلف الهرمات، فرجع إطلاق النار عليّ من بكتات الهرمات وأنا مستلقي في مكاني، وسبحان الله ما أن يبدأ الرمي عليّ حتى يتحول الجو إلى غبار كثيف يحجب الرؤية من شدة الرمي، ثم شعرت بأن الهرمات بدأت تنسحب والطائرة بدأت ترتفع، فقلت في نفسي أن الطيار سيطلق صاروخاً لينهي المشهد بأكمله، ولكنه لم يطلق وإنما ضرب بالرشاش فنبش المكان نبشاً حتى تهدم جزء كبير من جدار الصف من شدة وكثافة الضرب عليه، ثم رأيت بأن الدم بدأ يخرج من كل جسمي فوضعت يدي في جرح يتدفق منه الدم بغزارة ولكن لشدة النزف أخذتني غيبوبة أخرى، الحقيقة لما رأيت أن الدم ينزف والجروح لم تقض عليّ مباشرة خشيت من مسألة واحدة وهي أن تأخذني غيبوبة ثم أصحى فأجد نفسي أسيراً بين يدي الأميركان لذلك كنت أحاول أن أسيطر على نفسي قدر استطاعتي.

بعد ذلك صحت مرة أخرى ولا أعرف كم من الوقت استغرقت غيبوبتي، ومع أني متهالك ومشخّن بالجراح وسلاحي بيدي ولا أعرف هل بقي شيء من العتاد فيه أم نفذ كل عتادي، ولكني مع ذلك لم أتركه يفلت من يدي وبقيت أنتظر الأميركان ليدخلوا عليّ فأقتل منهم فيقتلونني قبل أن يأسروني، ومشهد قتلي للكثير من الجنود الأميركان نتيجة جبنهم قد غرّني للمزيد من الإثخان والتقتيل فيهم، بالأخص وأنا محتاج هذا الأمر كثيراً قبل أن ألاقى ربي، فلي من الذنوب ما لله وحده عالمٌ بها فأريد التقرب إلى الله بهؤلاء الصليبيين، ولكن المنطقة سادها الهدوء التام فلا أكاد أسمع صوت الآليات أو الطائرات مثل أول مرة، ولكني مع ذلك قلت لن أخرج من هذا المكان لأنني توقعت أنهم أعدوا لي كميناً ويريدونني فقط أخرج ليأسروني أو على الأقل يقتلونني.

وإذا بأحدهم يدخل عليّ فرفعت سلاحي وقد خارت قواي وقبل أن أطلق فإذا بها امرأة جاءت تركض عليّ ولديها ابنتها طالبة في المدرسة فرأيتني على حالي والدم ينزف من كل مكان فقالت الحمد لله على السلامة يا أستاذ (وظنت أنني المعلم)، ولكنها تبكي لأنها قالت إذا المعلم هكذا فما بال ابنتي وباقي التلاميذ، فلما دققت النظر ورأت ملابسني والسلاح عرفت أنني لست بالأستاذ، فسألت عن الأستاذ وعن

التلاميذ؟ فقلت لها اطمئني فقد خرج الجميع، فقالت أكيد؟ قلت لها أكيد ولا يوجد بالمدرسة سواي وصاحبي، ثم نظرت إلى حالي وكأنها لا تريد مفارقتي فقالت ابن من أنت؟ ومن تعرف هنا؟ فقلت لها إني غريب ولا يعرفني أحد في قريبتكم .. وبدأت تصيح الناس بصوت عالي ليساعدوني، وتقربت عليّ تريد أن توقظني .. فنظرت لها باستغراب ففهمتني مباشرة وقالت إطمئن إطمئن .. الأميركان انسحبوا من هنا، فتعجبت كيف انسحبوا دون حتى على الأقل أن يتأكدوا بأني قتلت، فخرجت المرأة لتجد ابنتها، المهم بدأت سيارات المسلمين من أهالي القرية تتوافد علينا كلاً يسأل عن ابنه يظنون أن المعركة جرت وأبنائهم بداخل المدرسة، والقوات الصليبية لها سوابق ليس بالقتال داخل المدارس وإنما بقتل الطلاب داخل مدارسهم وعن قصد .. فابلغ من يأتي بأن أبنائكم بخير وأنه مع المعلم في أحد بيوت القرية فيذهبون ويجدون أبنائهم وحين يطمئنون على سلامة أبنائهم يرجعون عليّ ليساعدوني، وأنا كنت أرى الطائرات لازالت تحلق وأنا أعرف غدر الأميركان حين يزداد الإثخان بهم، فبعد هذا الإثخان الذي حل بهم إذا عرفوا أن الذين فعلوا بهم هذا لزالوا أحياء فوالله لا يترددون لحظة في أبادته القرية بمن فيها، لذلك كنت أقول لهم فقط ساعدوني بأن تتركوني وتخرجوا من هذا المكان لئلا نقصف .. إلى أن رأيت أن الأجواء صارت طبيعية وأن الطائرات بدأت تبتعد قليلاً فقامت على ما بي من جراح وبدأت أمشي وحين خرجت خارج باب المدرسة رأيت بعيني طائرات الأسعاف المروحية قد هبطت خارج القرية بحدود ٥٠٠ متر لنقل المصابين والقتلى، حتى وصلت بصعوبة إلى أول بيت عن المدرسة فطرقت الباب، فاستقبلني أهله وقلت لهم أحتاج أن أتصل بالموبايل فرحبوا بي واتصلوا على الرقم الذي أعطيتهم إياه وهو رقم أحد الإخوة المجاهدين، وإذا به قد أفضل هاتفه، فقال لي ابنهم هل عندك رقم آخر؟ قلت له لا (لأنني لم أرد أن أتصل بأهلي وأنا على هذا الحال فأقلقهم ويكون المصاب مصابين .. فقال كيف نساعدك؟ فقلت له أحتاج إلى (دشداشة)، وعلى الفور سمعني أمه فجلبت لي دشداشة ويشماغ ونعال وأحضرت ماءً وقالت إغسل وجهك وجسمك حتى لا يظهر عليك آثار ما حدث، وبالفعل بدأت أغسل وجهي وجسمي ورأيت أنه ما عدا الإطلاقة التي اخترقت بطني ولم يقف نزيهاً بعد، فكل الذي أصابني هو نتيجة شظايا الجدار والتئمت أغلب الجروح، ثم لبست اللباس الجديد وهنا جاءت امرأة أخرى من القرية فقالت لي إن صاحبك قد قبض عليه الأميركان وأسروه، فقلت سبحان الله واسترجعت وكأن الدنيا اسودت في وجهي وقلت يغفر الله لك أخي (أبو يحيى)، كيف أسروك وفي يدك سلاح، سبحان الله هذا الأمر زادني هماً فوق همي ومصاباً فوق مصابي.

ثم قررت الخروج حفاظاً على أهل البيت، فقالوا إبقى معنا نداويك جيداً ونطعمك، فقلت لا بل أريد الذهاب، لأنني فكرت أن هنالك احتمال أن أكون مراقب فلم أرد أن أدخل بيتاً فضلاً عن أن أمكث فيه إلا للضرورة القصوى، فقالت المرأة إنتظر لحظة فجلبت مسحاة (كرك) وقالت إحمله على كتفك وكانك فلاح في أحد بساتين القرية، فهذا المشهد يجعل الأميركان لا يشكون بك، فوالله ضحكت في نفسي من عمل هذه المرأة وقلت في داخلي وكأنها تعمل مع المجاهدين وتعرف الأمنيات جيداً، وفعلاً خرجت من البيت وأنا متنكر بشكل كامل .. ولكن الجرح ظل ينزف، وأنا أمشي بالقرية والكل يريد مساعدتي، هذا الذي يقول أدخل في بيتي وذاك يقول تعال في البستان بين الأشجار وآخر يقول تعال أخرجك من القرية بسيارتني، فجزاهم الله خيراً والله إن كلامهم هذا كان ينزل على قلبي كالماء البارد وأنا في موقف صعب، فمثل هذا الكلام يشد من أزري شداً، ولكني أعرف ما لا يعرفوه هم، فمساعدتهم لي قد تكلفهم حياتهم من حيث لا يشعرون لأنني أعرف أن الأميركان في الطريق فلو

قدر الله عز وجل لي شيئاً فلا أتمنى أن يتأذى أحدٌ معي .. وظل الجرح ينزف، فقالت امرأة رأتني لأبد لك من مساعدة لا يمكن أن تسير وأنت على هذا الحال ستهلك لا محالة، فقلتُ لها أحتاج فقط إلى يشماغ لألف الجرح، وبالفعل جلبت لي يشماغاً وقمت بربط الجرح بقوة عسى أن ينقطع نزيف الدم، ثم طلبتُ ماءً وجلبت لي الماء فوضعتُه في فمي ثم تذكرت أنه في مثل هذه الحالات أي عند الإصابة وتمزق الأحشاء فلا يصح طبياً شرب الماء، وبالأخص إذا كان الماء غير معقم، فقد عرفت إخوة تسمموا بعد أن شربوا الماء وهم ينزفون نزيفاً داخلياً وعادةً الماء في تلك المناطق غير معقم فتمضمضت بالماء ولم أشربه .. ثم واصلت المشي إلى أن وصلت إلى غرفة على نهر يوضع فيها ماطور للماء لسقي المزرعة، فلم أستطع المواصلة فدخلت الغرفة وتمددت فيها فلم أشعر بنفسي من شدة ما حل بي من تعب وإرهاق فنمتُ من الظهر إلى العصر، واستيقظتُ على صوت امرأة عجوز راعية من أهل القرية ومعها أغنامها دخلت للغرفة وفي يدها قنينة ماء معقم كانت تخفيها داخل ملابسها حتى لا يراها الأميركان .. هي رأتني حين دخلت الغرفة وجاءت لتطمئن وترى هل لا زلت على قيد الحياة؟ فلما رأتني حمدت الله وقالت إشرَب الماء وسأتي لك بالطعام فوراً، وأيضاً سأخبرُ إخواني لانتفاذك، فقلتُ لها لأحاجة لي بالطعام، ولكن يا حبذا أن يأتيني أحد ومعه موبایل لأتصل علي أحظى بأحد إخواني .. وبدأت هذه العجوز تستجد بالناس فوصل لي رجل ثم ثلاثة ثم اثنين وتجمعوا عندي وقالوا لي لأبد أن نساعدك، إما أن تبلغنا عن عنوانك بالضبط لنوصلك إلى أهلك أو هذه موبايلات إتصل بأي شخص تثق به .. أنا لم أرد أن أعطي عنوان بيتي أو حتى أسمى الصريح لأسباب أمنية .. فقط أردتُ الإتصال حصراً بأخ مجاهد وأصررتُ على عدم الإتصال بأهلي أو أقاربي، لكن المشكلة التي واجهتني وما فهمته لاحقاً هي أن الإخوة وصلهم خبر بأننا حوصرنا وقتلنا لذلك أغلقوا كل موبايلاتهم كإجراء احترازي تحسباً لأي طارئ، فاتصلت بكل الأرقام التي أحفظها ولم أحظ بأحد من الإخوة، وهنا بدأ أهل القرية هم يتصلون اجتهداً بأقاربهم من القرى الأخرى ويبلغوهم بحالتي، وبعد ما يقارب النصف ساعة سمعت أحدهم يتكلم مع أخ من إخواننا فقال للرجل المتكلم فقط أبلغ جريحكم هذا بأن أبا عبيدة على الخط، وبالفعل أبلغني الرجل، والأخ (أبو عبيدة) أنا أعرفه أحد المجاهدين الأنصار في المنطقة، فذكرت للرجل الذي يتكلم معه إسمي الصريح وقلت لهم قل له أن فلان ابن فلان موجود هنا ومصاب، وبالفعل أبلغوه وقال الأخ أين تستطيعون إيصال الأخ إلى أقرب نقطة أمّنه لكم فاتفقوا على مكان معين، فاتصل الأخ أبو عبيدة بأقرب مفرزة للإخوة في المكان المتفق عليه، وأبلغهم بالأمر، فحملني الرجال ووضعوني مستلقياً على ظهري في المقعد الخلفي للسيارة، وانطلقت بي السيارة وأنا بين غائب عن الوعي ومستيقظ، إلى أن وصلنا المكان فوجدنا الإخوة واقفين بانتظارنا، فحملني الإخوة إلى سياراتهم ثم سلمت على من أوصلني بسيارته وقلت له بالله عليك سلمني على كل أهالي القرية، وقل لهم وفيتم وكفيتم وجزاكم الله خير وما قصرتموا، وتحية خاصة لكم من المجاهدين عموماً ومن جماعة الأنصار خصوصاً على موقفكم هذا.

وهنا سألني الإخوة عن الأخ (أبو يحيى) فأجبتهم أنني لا أعلم عنه شيئاً منذ أن افترقنا، إلا أن امرأة قالت لي أن الأميركان أسروه، فاسترجع الإخوة وحزنوا كثيراً لما سمعوا، ومن ثم أخذني الإخوة إلى أحد المقرات البعيدة عن منطقة الحادث، وهناك جاءني طبيب من الإخوة لمعالجتي العلاج الأولي، فقال لي تحتاج إلى عملية جراحية ولكن إلى أن نؤمن مكان إجرائها سأقوم باللازم، وبالفعل عالجني الرجل وبدأ يخيط ما بي من إصابات.

أما الأخ (أبو يحيى) فيقول: بعد أن أيقنت أن الأخ قُتل بقيت أنتظر وأسمع الإطلاقات وأت شاهد .. وبعد حين وإذا بالهمرات والمدركات تنسحب من المكان ولم يدخل عليّ أي جندي أميركي، ولم أسمع بعدها شيء .. فخطر في بالي أنه كمين لنطمئن ثم نخرج فنُعتقل فوراً فبقيت جالس في مكاني بدون أي حركة، حتى بدأت أسمع أصوات أهل القرية وهم يتوافدون إلى المدرسة لتفقد أبنائهم وإذا بمعلم المدرسة يدخل عليّ فقال لي إطمئن إن الأميركان انسحبوا وهم الآن على بعد مسافة خارج القرية وأن صاحبك قد خرج وهو مصاب لكنه حي، وقال لي إنتظر مكانك ولا تتحرك إلى أن آتي لك بملابس لتغيرها وتخرج وكأنك أحد أهالي القرية، وبالفعل بعد مدة جلب لي (دشداشة) فارتديتها وخرجت من المدرسة وطائرات التجسس تراقبني، وأنا متعجب كيف أن الأميركان بكل عددهم وعتادهم ومدركاتهم وطائراتهم لم يدخلوا علينا وانسحبوا حتى بدون أن يتأكدوا حتى أننا قُتلنا .. سبحان الله! وأنا أتكلم مع نفسي وأقول والله هذا الأمر عجيب، فمشيت إلى أن قابلني رجل فقال لي إطمئن فإن صاحبك قد خرج من هنا وهو حي، فقط فيه إصابة قوية واحدة برصاصة، فقلت له أين ذهب؟ فقال لا أعرف بالضبط أعطيناه مسحة (كرك) فحملة وسار في هذا الاتجاه، فشكرته ومشيت ثم طرقت باب بيت وطلبت ماء فجاءوا بالماء فشربته وقالوا لي إنتظر دقيقة فجلبوا لي يشماغ كي ألفه فوق رأسي لأظهر وكأنني راعي غنم وبالفعل ظهرت وكأنني راعي غنم في القرية، وعندما كنت أمشي في القرية إذ بطائرة تلاحقني وتحلق على إرتفاعات منخفضة جداً يحاول الطيار أن يرى وجهي هل أنا الشخص المطلوب أم لا؟ .. المهم أنا تصرفت بكل هدوء وسكينة وكأن الأمر لا يعنيني، وأنا أمشي ولا أعرف إلى أين وجهتي بالضبط.

إلى أن رأيت راعي غنم سارحٌ بغنمه في بستان، فذهبت له وأبلغته بأن يتركني مع الغنم حتى لا يشك بي الطيار الأميركي، وبينما أنا أتكلم مع الراعي وأقنعه وإذ بصاحب البستان الذي أنا فيه قد أتاني فقال من أنت؟ قلت له أنا مسلم من المسلمين، فقال لي لعلك كنت في المدرسة تقاتل الأميركان؟ فقلت بلى، فقال إطمئن أنت في حمايتنا، والله لن نسلمك للأميركان حتى لو قُتلنا، وقال خذ هذه المسحة وابدأ بحراثة تلك الأرض وأنا معك سأحرث، وإذا حدث شيء فإنك تعمل فلاح في بستاني، وبالفعل بدأنا العمل والطيار يراقبنا، وبعد فترة بدا أن الطيار تأكد أنني من أبناء هذه القرية ولست الشخص المطلوب، فانسحب من هذا المكان، فأخذني الرجل إلى بيته وأعطاني موبايل لأتصل بأهلي، وبالفعل إتصلت بهم وطمأنتهم أنني بخير وعلى ما يرام.



ثم خرجت من هذا الرجل ليستقبلني رجلٌ آخر من وجهاء وشيوخ تلك القرية، فرحب بي وقال لي (غداك عدنة اليوم)، فحاولت الاعتذار لا لرد الدعوة ولكن حرصاً عليهم، فقال لا والله .. وأدخلني وأمر أهله بإحضار الغداء، ثم بعد الإنتهاء من تناول الطعام إتصل بشخص يعرفه والظاهر عليه أنه يعرف المنطقة ومنافذها جيداً وطلب منه الحضور، وبالفعل جاء الرجل فقال لي هذا الشيخ إن فلان سيوصلك في مكان آمن خارج القرية، وبالفعل أوصولني بسيارتهم وكان هناك بانتظاري أحد الإخوة بعد أن رتبت الأمر، ولما وصلت قبلوني وفرحوا بي كثيراً وقالوا لي كيف خرجت من أسر الأميركان؟ فقلت لهم متعجباً لم يأسرني أحد ! فقالوا إن امرأةً أبلغت (أبو عيسى) بأنك أعتقلت، فضحكت وقلت من إعتقلوه الأميركان هو المعلم فبعد أن ودعنا وأثناء خروجه إعتقله الأميركان ظناً منهم أنه واحد منا تنكر ويريد الخروج، والحمد لله فقد أطلقوا سراحه بعد نصف ساعة فقط بعد أن تأكدوا أنه معلم في المدرسة ومن أهالي القرية وليس أنا أو (أبو عيسى).



وبعد خروج الإخوة من القرية وفي نفس الليلة طوقت القوات الأميركية ومعهم حرس الردة فيما يطلق عليه (الفرقة القذرة) القرية وحاصرتها وأنزلت جنوداً فيها ودخلوا على بيوتها بحثاً عن المجاهدين، وأهانوا أهل القرية وقالوا لهم سمعنا أن من كان يُقاتلنا في المدرسة باقون على قيد الحياة، فأين هم؟ فتكلم وجهاء القرية مع القوات الأميركية وقالوا لانعرف عنهم شيء ولا أين هم الآن .. فقالوا كيف لا تعرفوهم وهم كانوا في قريبتكم، ولماذا لم تسلموهم لنا؟ فقالوا لهم هم اثنين وأنتم بكل معداتكم ومدرعاتكم وطائراتكم ولم تتمكنوا من أسرهم أو حتى قتلهم!! فكيف نتمكن منهم نحن، فنحن أناس بسطاء نعيش على الزراعة ورعي الأغنام وليس لنا أي علاقة بما جرى .. المهم يأس الأميركان بعد أن أنتموا البحث ولم يجدوا شيئاً، وأثناء انسحابهم كان هنالك جسر صغير

وقديم بين القصب والوادي، وأثناء مرور إحدى المدرعات عليه، إنقلبت المدرعة في الماء بالوادي وانقلب الجميع وبدأوا يصرخون لأنهم ظنوا أن هذا الأمر حدث بفعل فاعل، ولم يتمكنوا من التحرك وإنقاذ هذه المدرعة حتى وصلت تعزيزات لهم فيها آليات معينة تمكنوا من خلالها سحب المدرعة.

وقد ذكرت لنا مصادرنا الخاصة بداخل القاعدة الأميركية أن قتلى الأميركان وحرس الردة الذين كانوا معهم وصل إلى ثلاثين مقاتل باعترافهم هم .. هذا العدد للقتلى فقط أما المصابين فلا نعلم عددهم بالضبط.

فسبحان الملك الجبار، سبحان القوي العزيز، سبحان القوي العزيز .. فرقة أميركية خاصة مجهزة بكامل العدة والعتاد والآليات المصفحة والطائرات، تقابل .. ليس جيشاً وأنما مجاهدين اثنين لا يملك أحدهم سوى سلاحه الرشاش القديم فقط لا غير .. وتدور معركة بين جند الرحمن وجند الشيطان فماذا كانت النتيجة .. يودع الشيطان ثلاثين من جنده ومثلهم من المصابين، بينما يصاب أحد الإخوة بإطلاقته لا غير ويستشهد آخر .. أليس في ذلك لعبرة لمن يعتبر، لذلك صار هنالك قاعدة متداولة عند المجاهدين وهي: أن من كان الله معه .. فلا يهم من يكون عليه ... فيقابلون عدد عدوهم بالشجاعة، وعُدده بالإيمان والثقة بنصر الله، فتتهوى أمام ذلك كفة القوة المادية.

يقول (أبو عيسى): بعد فترة بسيطة من الحادث قمتُ بإجراء عملية جراحية في إحدى المستشفيات، وبقيت لمدة شهرين حبيس البيت في فراشي، فاضطرت إلى الإعتزال عن الإخوة وترك الجهاد كجسد فقط، أما قلبي معلق بهم أتتبع أخبارهم في كل يوم .. وبعد أن انقضت الشهرين وتعافيت التحقت بإخواني مجدداً بهممة أعلى وبعزيمة أقوى مما كنت عليه من قبل.

إن في ساحات الجهاد وما فيها من تفاصيل ومعاشية يومية لوقائع وأحداث جرت وتجري، فيها الكثير من العبر والدلالات .. فهذه القصة مثلاً لو أردنا تفصيلها واستنتاج ما فيها من معاني لطال بنا المقام، ولكننا سنقف فيها وقفتين اثنتين نراها نافعة لمن أراد الاعتبار:

الوقفات الأولى نقول فيها: يخشى الكثير منا الجهاد بكل أنواعه وليس فقط القتال، لأنه يشعر أن هلاكه فيه، وأنه الطريق الذي سيفرقه عن أهله وأولاده وإخوانه وأحبته .. وقد يكون ملتزماً ويقرأ كتاب الله عز وجل ليل نهار، ويمر على آيات كثيرة فيه كقوله تعالى: **(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)** (الأعراف: ٣٤)، وقال تعالى: **(وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (لقمان: ٣٤) بل قد يكون واعظاً وفقياً يعلم الناس أمور دينهم، ولكنه لا يفقه أمثال هذه الآيات، فالله عز وجل كتب لكل واحد منا أجله، وما درى هذا المسكين أن الآجال محدودة والأنفاس معدودة فلا يزيد فيها الجبن لحظَةً، ولا تنقص منها الشجاعة لحظَةً، رفعت الأقلام وجفت الصحف، قال تعالى: **(قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)**، وقال تعالى: **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ)** (آل عمران: ١٥٤) لذلك فكلما ازداد إيمانك بقدر الله عز وجل كلما ازدادت شجاعتك وجرأتك في الحق والعكس صحيح.

يقول الشاعر:

أَكَانَ الْجَبَانُ يَرَى أَنَّهُ ❖❖❖ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ
وقد تدرك الحَادِثَاتُ الْجَبَانَ ❖❖❖ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلُ

ويقول آخر:

تأخرت أستبقي الحياة فلم ❖❖❖ أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

ومن هذا قول الخنساء:

نهين النفوس وهَوْنُ النفوس ❖❖❖ يوم الكريهة أوقى لها

وصدق من قال (إطلب الموت توهب لك الحياة)، لذلك فالشجاعة خصلتُ محمودةٌ حتى في الجاهلية، ولذلك كان يقال أن الشُّجَاعُ مُوقَى وَالْجَبَانُ مُلَقَى، لأن الشجاع مع إقدامه وتعاطيه المهالك بنفسه، محفوظ غالباً لأن الناس تتحاماه هيبة له، والجبان مع كثرة حذره هالك، فجاء الإسلام ليصقل هذه الخصال الحميدة في المجتمع الجاهلي ويوجهها باتجاهها الصحيح .. وفي قصص الصحابة آيات كثيرة جعلها الله عبرة لمن يعتبر، فقيادة الجهاد في الرعيل الأول من الذين أمّرههم واستعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا من أشجع الصحابة وأشدّهم بأساً وخاضوا المعارك تلو المعارك يتقدمون الصفوف، فقتل الشجاع منهم في ساحات الجهاد، بينما مات الأشجع على فراشه مع أنه كان يتمنى الشهادة من أعماق قلبه وسعى لها سعياً حثيثاً .. ومن أمثلة القادة الذي ماتوا في بيوتهم محمد بن مسلمة، سعد بن أبي وقاص، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن ابن عوف، أبو بكر الصديق، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، وغيرهم، فانظر يا رعاك الله وتدبر وبادر واعلم أن المرء حيث يضع نفسه، فاختر لنفسك اليوم ما يسرك غداً عاقبته.


أما الوقفة الثانية فنقول: إن الأحداث التي رواها الإخوة كانت ببساطة وعفوية تامة، ويستطيع القارئ لهذه القصة أن يعرف ما هي نظرة أهل السنة في العراق صغاراً وكباراً، شباباً وشيوخاً، رجالاً ونساءً، إلى الجهاد والمجاهدين، وكيف تجذر حب الجهاد بهم، وكيف يبادر الناس لنصرة المجاهدين والذود عنهم والتودد لهم، كلاً حسب استطاعته ولو كان في ذلك أذاهم، وكيف يرفع الله قدر الشهيد فيجعل له منزلةً عند المسلمين في الدنيا قبل الآخرة، فوالله إن أهلنا في العراق هم أصحاب فطرٍ سليمة، وهم دائماً أرضٌ طيبةٌ خصبةٌ جاهزة للزرع والإثمار.

وقد خصص الأميركان وعبيدهم من الروافض الحاقدين ميزانيات ضخمة جداً تُقدر بمليارات الدولارات لمكائد عدة على مدى الأعوام السابقة، وتم ضخها في عدة إتجاهات لغرض فصل المجاهدين

عن حاضنتهم بين المجتمع، وحاولوا متبجحين بكل ما لديهم من قوة من مسخ العقول، ونكس الفطر وإقلاب الموازين، فمثلاً يرى المتابع للشأن العراقي عشرات الإعلانات التي تعرض على الكثير من الفضائيات تستهجن الأعمال المسلحة وتستغربها وتسليخها عن العمل السوي وتسميها بكل نقيصة، وتحاول قدر الإستطاعة إلصاقها بأفعال دخيلة عن هذا المجتمع، فسبحان الله .. صار من يدافع عن دينه وأرضه وعرضه من صليبي حاقدين زان خمار فذاك من يريد أن يسفك الدماء ويفرق الكلمة ويُخرب البلد، أما أهل العمائم والقلوب السوداء، الذين تحضروا في أيامنا هذه ولبسوا (البدلات) ودخلوا في حضيرة المنطقة الخضراء وأمرهم معلق ليس بالجندي الأميركي .. لا والله .. بل بالكلب الأميركي (أجلكم الله) يشمهم في كل خروج ودخول فإن شاء سمح له بالمرور والا ؟؟ جعلوهم الأميركان واجهة لنهب خيرات هذا البلد ورموا لهم بالفتات فتداعوا عليه كما تتداعى الأكلة على قصعتها، ثم يكون هؤلاء هم الوطنيون والشرفاء الأطهار الأنقياء!!!

لذلك نقول إن هذه المكائد في الغالب لم تجد آذاناً صاغية بين المسلمين في العراق، ولم يتلقاها المجتمع بالقبول، ومع أن من يتسيد القوم الآن هم من ضعاف النفوس وأراذل القوم وهم من تسلط عليهم دائرة الأضواء في الإعلام، حتى يتبين أن الحال تبدل والوضع تغير وأن هؤلاء هم من يمثلون المجتمع، ولكن أهل السنة بالعراق أرقى وأسمى من أن تمسخ فطرهم وأذواقهم وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم بما لا يرضاه شرع ولا عقل فله الحمد والفضل والمنة، لذلك فليعمل كل واحد منا على نصرة المسلمين بالعراق وتبصيرهم ودفع المكائد عنهم بما يستطيعه وإن كانت بكلمة، حتى لا يقعوا فريسة سهلة بيد عدوهم .. قال تعالى: **(إِنْ تَمَسَّيْنَكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)** (آل عمران: ١٢٠).





وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

متوفر على شبكة الانترنت..



الفلم المصور الكامل لتفاصيل هذه القصة يرويها أبطال الحدث أنفسهم..



مؤسسة الأنصار الإعلامية

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م